نبضٌ آخر

محتجًا، اقتحم رجلٌ ستّيني الدّكان دون تحية أو استئذان:

- لا تقل لي إنك لم تصلحها بعد! يبدو أنك لم تتعلم شيئا من المرحوم
- لم يُجب أيوب وحافظ على هدوئه متبعًا المثل الفرنسي "الزبون مَلك"؛ فتح خزانةً جانبية صغيرة يُخصصها للساعات التي عاد إليهانبضها، بعد إهمالٍ من صاحبها، أو تقدّمها في السن وإصابتهابالخرف، وهي حالة هذه الساعة، التي تتذكر معركةَ ذات الصواريبين

المسلمين والبيزنطيين..

"تمتم أيوب، قبل أن يمدها بعناية إلى الرجل الغاضب.

أيوب، ستتخيلونه من دون شك رجلًا فعل به المشيب ما فعل، متشبّثٌ

بحرفته، يمكث في دكّانه منتظرًا بلا كلل إطلالة زبونٍ ما، لكنه ساعاتي شاب في الرابع والعشرين من عمره، مُجاز في التاريخ، ورث الّدكان ومعه شغف إصلاح عقارب الزمن، عن والده.

تبدلت ملامح وجه الرجل الثائر بعد أن اشتعلت غضبًا، مسح على لحيته ثم عدل رزّته على رأسه، وأخذ يتفحص الساعة ويخبطها

بأصابع يده علّ نبضها ينقطع، لينهال على الولد بعبارات الانتقاد مجددًا حتى تثبت إهانته، لكن دون جدوى.

كان أيوب قد أرشى أخاه الأصغر بخمسة دراهم لكي يفسح له المجال

ويذهب إلى محل الألعاب الإلكترونية المجاور، حيث يقتل الأطفال والمراهقون الوقتَ قبل أن يقتلهم، وانتظر انصراف زبونه

ليغلق الدّكان على عجل، وينطلق كَسَهْمٍ هائج غادر قوسه، صوب الكورنيش، حيث الموعد التاريخي والاستثنائي.

****

كان متيقنًا أن رذاذ البحر لا يداعب ملامحَ أيٍّ كان، وأن الأمواج لا

تبوح بأنينها لمن هبّ ودبّ، فقد منحَته ثقتها بعد أن أَلِفَتْ زياراته من حين لآخر كلما ملّ من صخب عقارب الساعات الكثيرة المحيطة ، ولومِ الزبائن رغم قلتهم، لكنه لم يكن متأكدًا من قدوم سارة في الموعد المحدد افتراضيًا، الخامسة مساء.

تأخرها واقتراب موعد تسليم النهار المشعل لليل، ونزوح أيوب إلى إحد ى المقاهي المقابلة للأمواج بعدما كان يعتلي صخرة وحيدة منسية في الشاطئ، كل هذه الأمور لم تمنعه من تأمل تلك الإقامات

السكنية الراقية المتراصة، حيث لا مجال لدكّان واحد لإصلاح الساعات كما هو الحال في حيّه الشعبي؛ درب المساكين، أما هنا، فتقف

العمـــارات علـــى مقـــاهي خمـــس نجـــوم و صـــالونات خاصـــة بتجميل وتزيين السيدات (خمس نجوم)، ولا شيء غير ذلك!

أخرج سيجارة رخيصة من جيبه، وضعها بين سبابته وإبهامه برقي

وبرجوازيـة كـأن بيـده (سـيجار)، أشـعلها ثـم نفـث زفيـرًا طـويلًا مصوبًا عينيه الصغيرتين نحو كوب القهوة أمامه، لا شك أنه ليس

بأربعة دراهم كما هو الحال في مقهى الدرب، و سيكون الأمركارثيًا إذا طلبت سارة من النادل إحضار عصيرٍ ما كما تفعل الفتيات في اللقاء

الأول، كمـــا فـــي الأفـــلام العربيـــة، لكـــن مـــن المـــرجح حســـب تقييمه الإلكتروني الأولي، أن تكون (بنت لبلاد)، وتطلب شيئًا ما

سيكون أهون في جميع الأحوال من كوكتيل فواكه قد يَرشف فيرمشه

عين ما جناه في يوم كامل من زبون مزعج ومُهين.

******

همس لها وكأنها تتقاسم معه مساحة السرير:

- أحبك

ردّت بدهاء مسبوق بضحكة استفزّته:

- كيف تُحبُّني ولم نلتقِ سوى مرة واحدة؟!

كانت لقاءاتهما "أون لاين" كتابية فقط.

ردّ بعفوية قريبة إلى الانفعال:

- الحب ليس بالزمن، ولا بقرب المسافات، أنا شخصيًا أُؤمن بهذا الأمر.

فراغ.. ثم رنّة متطفلة تُنذر باقتراب نعي رصيده من المكالمات، أراد أن يستغل اللحظات المتبقية على النحو الصائب، فأخذت تتطاير الكلمات

من فمه وكأنها المرة الأخيرة التي سيحادث فيها محبوبته:

- انبهَرْتُ اليوم بجمالك الذي يتفوق على صورك "الفيسبوكية"، ابتسامتك البريئة والمذيبة لقلب كل ناظر، أصابع يديك المنحوتة،شعرك ال.. انقطع الخط، وانتهى الرصيد، أنزل الهاتف من أذنه ببطء شديد، من هول الصدمة، من أين سيزود جوّاله برصيد جديدفي هذا الليل الصامت؟ وهذه المدينة النائمة؟

استسلم للأمر ووضع الهاتف جانبا، منقضًا على حاسوبه، حيث صور سارة التي يحتفظ بها في ملفٍ أسماه "السّاعة في الحضارة البابلية"، لكي لا يثير فضول أخيه الأصغر فيفتحه ليتجسس على جميلته كلما غادر إلى الدّكان.

تمت

بقلم / أحمد شوقي